قطوف دانية

مقالات وموضوعات متفرقة

تأليف الشيخ

محمد بن صالح الشاوي

اعتنى به وأخرجه للنشر ابنه

صالح بن محمد الشاوي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقال الأول:

الإحسان[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي، الذي بعثه ربه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما بعد:

فإن الله خلق الثقلين الجن والإنس لحكمة بالغة، وأمرهم أن يسيروا في الأرض ويضربوا في نواحيها ـ باحثين عن مصالحهم ومنافعهم، كل هذا لحكمة بالغة، وتلك الحكمة هي اختبارهم وابتلاؤهم ليتبين المحسن من المسيء، وليتبين الخبيث من الطيب، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، فصدق الله العظيم وجلَّت من حكمة بالغة.

والإحسان باب عظيم يمس جميع نواحي الحياة.

* **فالإحسان مع الله تعالى**: هو أن يعلم العبد أن الله لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأن يراقبه في صلاته أو غيرها، في

(١) كلمة ألقيت في إحدى المساجد بتاريخ: ١٧/ ٩/ ١٣٧٥هـ.

خشوع ورهبة حتى كأنه يرى الله عيانًا، فإذا لم يستطع فليعلم أن الله مطلع عليه، وأنه بين يدي علَّام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، كما قال جبريل عليه السلام لمحمد صلوات الله وسلامه عليه حينما سأله عن الإحسان فقال له: «**الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

فالإحسان مع الله: هو أن يراقب الإنسان الله في حركاته وسكناته، وأن يدرك تمام الإدراك أن الله علّام الغيوب يراه؛ وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

❊ **وأما الإحسان في السوق ومع عامة الناس**: فهو أن يمشي الإنسان بسكينة ووقار، وأن يُفشي السلام على كل مسلم، وأن يَسْلَمَ المسلمون من يده ولسانه، وأن يعطي السائل ويحسن إليه على قدر استطاعته، كما روي أنه صلوات الله وسلامه عليه قال: «**لَا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٢)، وقال الشاعر المقنع الكندي:

لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّـى تَجُـودَ وَمَـا لَـدَيْكَ قَلِيْـلُ

---

(١) جزء من حديث جبريل الطويل وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢٧)، رقم (٣٣٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف جدًّا.

وأن يحسن معاملته مع الناس في بيعه وشرائه وصدقته، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٣٠]، وعليه أيضًا أن يجعل قول الشاعر نصب عينيه:

مَنْ يَفْعَل الخَيْرَ لا يَعْـدَمْ جَوَازِيَـهُ لا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ الله وَالنَّاسِ

وقول الآخر:

ازرعْ جميلًا ولو في غيرِ موضعِه فـلا يضـيعُ جميـلٌ أيـنما زُرعـا

أما الصدقة فينبغي أن تبذل لمستحقيها إحسانًا وتفضلًا، فليس من المروءة في شيء أن تعطى لغير أصحابها، فأصحابها أولئك المساكين والفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافًا، تعرفهم بسيماهم من رقة الحال ومن ضعف المسكنة، وهي إن لم تعط لهؤلاء فليس لها ثواب كامل ولا تسمى إحسانًا، قال الشاعر:

إنَّ الصَّـنيعةَ لا تكـون صـنيعةً حتى يصابَ بها طريقُ المصـنَعِ

وعلى كل: حال فباذل الخير والإحسان ينبغي أن يضعه في موضعه اللائق به، حتى يعطى جزاءَه كاملًا مضاعفًا يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾

[البقرة:١١٠]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧ـ٨].

فينبغي أن تبادروا أيها المسلمون في هذا الشهر المبارك، شهر العطف والرحمة، شهر المحبة والإخاء، شهر الإحسان والمواساة، وواسوا فقراءكم بالإحسان إليهم، فليس للإنسان إلا ما سعى وقدم.

والإحسان ليس مقصورًا على العطاء وبذل المال للآخرين، فإرشاد الأعمى إلى الطريق الذي يريده إحسانٌ، وجاه صاحب الجاه إذا توجه لإنسان على الوجه الشرعي إحسانٌ، وإفشاء السلام إحسانٌ، والتواضع ولين الجانب إحسانٌ إلى النفس وإلى الآخرين.

ثم يجب أن يكون الإنسانُ محسنًا في بيته، وعند أسرته، وأن ينشئ معهم حب الإحسان بإحسانه إليهم، وقد جرت العادة أن يقلد الصغار الكبار في أفعالهم، فأروا أطفالكم أفعالكم الحميدة وخصالكم الطيبة لكي يشبوا خيرين طيبين.

قال الشاعر:

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ الشَّجَرُ

وقال الآخر:

إذا كان ربُّ الدار بالـدف ضـاربًا فلا تلُم الصبيانَ فيه عـلى الـرقصِ

أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق والسداد، وأن يتقبل الله مني ومنكم صالح الأعمال، وأن يعيننا على الصيام والقيام، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم، وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المقال الثاني:

فضل الصوم وأهميته[١]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفوة خلقه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك طريقهم واتبع منهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصوم مظهر من مظاهر الدين، ودليل قاطع على القيام بأمر الله من محبة ورضًا وانقياد وخضوع تام لأوامره.

ولذلك لم يخل دين من الأديان إلا والصيام ركن من أركانه، ودعامة من دعائمه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:...» وعدَّ منها صوم رمضان[٢].

---

(١) كلمة ألقيت في إحدى المساجد بتاريخ: ٢٠/ ٩/ ١٣٧٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا الشهر المبارك أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وبدأ نزول الوحي فيه على محمد الأمين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، ليلة فيها يفصل كل أمر عظيم، وتقدر فيها المقادير، ولا يسأل أحد مولاه سؤالًا، إلا أعطاه إياه ـ إذا كان لا يتعارض مع الأحكام الشرعية ـ ولم يَعْتَدِ في دعائه؛ لأن الله لا يحب المعتدين.

وحكمة الصيام أنه يقوي النفس والإرادة والعزيمة، وذلك أن الإنسان متى امتثل أمر الله تعالى واستطاع أن يغالب شهواته فيسيطر عليها، ويترك المشارب الحلوة والمآكل اللذيذة والمناكح، وغير ذلك مما كان مباحًا له قبل الصيام؛ امتثالًا لأمره واحتسابًا للأجر عنده، عند ذلك تتربى عنده إرادة قوية صارمة، وصار عبدًا لربه لا عبدًا لشهواته ومطامعه، واقتدر على امتلاك زمام نفسه وإرشادها وتوجيهها الوجهة الصالحة، وبذلك يتربى حلمه ويكتمل عقله، كما قال الشاعر:

وَمَا يردَعَ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الهوَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا فَاضِلُ العَقْلِ كَامِلُـهْ

فليس المقصود من الصيام في الإسلام هو إتعاب النفس وتعذيبها، كما يتوهمه بعض الناس، وإنما المقصود منه تربيتها وتزكيتها وتعليمها الصبر عن الشهوات، وترويضها على الطاعات،

كما روى ابن ماجة عن رسول الله ﷺ: «**الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ**»(١)، فالله غني عنّا وعن عملنا، وما كتب علينا الصيام إلا لمنفعتنا ولإعداد نفوسنا للسعادة وللتقوى وللفوز بلقاء الله تعالى وجزائه؛ حيث يقول في الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٢)، رواه البخاري، وفي الحديث الآخر قال: «**يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»(٣)، رواه البخاري أيضًا، وفي حديث آخر: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»(٤)، متفق عليه.

وليست فوائد الصوم مقصورة على الفوز بلقاء الله في الآخرة فقط؛ بل إن له من الفوائد الكثيرة في الدنيا ما لا يحصى:

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٧٤٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٩٢)، رقم (٣٥٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال البوصيرى (١/ ٥٥٥): هذا إسناد ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٣٥٨١)، وفي السلسلة الضعيفة برقم (٣٨١١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٩٨٤)، ومسلم برقم (١١٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٨)، ومسلم برقم (٧٦٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فمن فوائد الصيام الدنيوية: أن الذي يصوم إيمانًا واحتسابًا هل يُنتظر منه أن يأكل أموال الناس بالباطل، أو يسب أعراضهم، أو يخونهم في أماناتهم؟! هل يسهل عليه أن يراه الله على الباطل أو فعل حرام؟! كلا؛ اللهم إلا أن يغويه الشيطان في شيء يسير ثم يندم ويتوب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

فالصيام مُربٍّ للإرادة، وكابح للجماح والأهواء، قال البيضاوي: (الإمساك عما تنازع إليه النفس)[(١)].

ومن فوائده الدنيوية: تذكير أولئك الذين لم يجوعوا طوال العام، بأن لهم إخوانًا فقراء؛ ليواسوهم وليعطفوا عليهم، وذلك بعد أن يذوقوا ألمه ويعرفوا لوعته وحرارته، كما قال ﷺ: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعِ**»[(٢)]، أما الكرام الحقيقيون فإنهم لن يغفلوا عن الإحسان وعن أهله، لا في رمضان ولا في غيره، قال أبو تمام حبيب بن أوس:

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/ ٤٦١).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧)، وابن ماجه برقم (٣٣٥٤)، والنسائي برقم (٥٤٦٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٠٢).

إن الكرامَ إذا ما أيسروا ذكروا مَنْ كانَ يَأْلَفُهُمْ في المَوْطِنِ

ومن فوائده الدنيوية: المساواة في أن المسلمين يفطرون في وقت واحد ويجوعون جميعًا، إلى غير ذلك من مظاهر المساواة في الصيام، وبهذا يشعر المسلم بعزة الإسلام، فإن الاتحاد مظهر من مظاهر القوة والعزة.

ومن فوائده الدنيوية: الصحة؛ فإن الصيام يصح الأبدان ويقويها ويعالجها من الرطوبة ويخفف الشحم الذي على القلب، وهو مضر إذا تراكم، كما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صُومُوا تَصِحُّوا**»(١)، وقال الأطباء من الإفرنج: (إن صيام شهر واحد من السنة، كفيل بأن يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة كاملة)، وقال ﷺ: «**الصَّومُ جُنَّةٌ**»(٢)، أي: يستر صاحبه ويقصيه عن الآثام والمضار والمعاصي.

وما دمنا قد استعرضنا الصيام ومنافعه وحكمه الدنيوية والأخروية، فلا بد أن نذكر أن الغيبة والنميمة وغيرهما من

---

(١) انظر: المقاصد الحسنة (ص٣٨١)، ومجمع الزوائد (٣/ ١٧٩). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٣٥٠٣)، وفي السلسلة الضعيفة برقم (٢٥٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤)، ومسلم برقم (١١٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المعاصي قد ذكر بعض العلماء أنها مخلة بالصوم، وحُكي هذا القول عن عائشة.

وقال الإمام الأوزاعي: (إن الغيبة تفطر الصائم، وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم)، أما الإمام ابن حزم فقال: (يبطله كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه سواء كانت فعلا أو قولا)[(١)]، وقال الغزالي ـ فيمن يعصي الله وهو صائم ـ: (إنه كمن يبني بيتًا ويهدم بلدًا كاملًا)، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «**كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالعَطَشُ**»[(٢)].

أسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم لخير العمل، وأن يتقبل منّا صيامنا وقيامنا، وأن يحسن خواتيمنا إنه سميع مجيب، والله أعلم، وصل اللهم على حبيبنا وقدوتنا معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

*****

(١) أورد هذه الأقوال ابن حجر في فتح الباري (٤/ ١٠٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٣)، وابن ماجه برقم (١٦٩٠)، والنسائي برقم (٣٢٤٩)، والدارمي برقم (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٨٨٤٣): إسناده صحيح.

المقال الثالث:

أهمية قيام الليل في آخر رمضان[١]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف النبيين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وأصحابه دعاة الهدى والحق، الذين نصروا هذا الدين وبذلوا فيه أغلى أموالهم ونفوسهم، فرضي الله عنهمْ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كان قيام الليل فرضًا في أول الإسلام ثم حُوِّلَ من الفرضية إلى السنية، أما نبينا محمد ﷺ فقد صار واجبًا في حقه، وقد داوم عليه إلى أن رفع إلى الرفيق الأعلى.

وأفضل الأعمال الصلاة، وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل، وقد جاء ربيعة بن مالك الأسلمي إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**سَلْ يَا رَبِيْعَةُ**»، فقال ربيعة: أسألك يا رسول الله مرافقتك في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَوَ غَيرَ ذَلِكَ؟**»،

---

(١) كلمة ألقيت في إحدى المساجد بتاريخ: ٢٥/ ٩/ ١٣٧٥هـ.

يعني: أَوَ لَا تسأل عن شيء غير هذا؟، فقال ربيعة: لا أسألك غير هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»(١)، رواه مسلم.

فهذا رسول الله ﷺ لا يطلب من إنسان يريد مثل أجر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ لا يطلب منه إلا أن يزيد في ركوعه وسجوده، وأن يحيي ليله بالتعبد والتهجد، فعند ذلك يصاحبهم في الجنة ويكون له مثل أجرهم ومثل ثوابهم.

وعباد الله الصالحون وأنبياؤه وخلفاؤهم كانوا يحيون لياليهم وأوقاتهم بالعبادة، وقد قال تبارك وتعالى في وصفهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[السجدة:١٦].

وقد قال الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة في وصف رسول الله ﷺ:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

وقد أثنى الله على هذه الأمة في التوراة وفي الإنجيل وفي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٩)، عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه.

القرآن، ووصفها بكثرة العمل لله وكثرة السجود لوجهه الكريم، والإخلاص لله والاحتساب عنده جزيل الثواب وهو الجنة وَرِضَى الله تعالى، فقال جلَّ من قائل حكيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح:٢٩].

ثم ذكر بعد ذلك أنهم يُعرفون بإضاءة وجوههم وحسن سيرهم وأخلاقهم من أثر عبادتهم، فقال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح:٢٩].

وكون عمل المرء وما أسرَّه يظهر على وجهه سواءً أكان نورًا أم ظلمة، أمر معروف متقرر عند سائر الناس، كما قال أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه: (ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه)[١].

---

(١) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٧٢)، وفي الجواب الصحيح (٦/ ٤٨٧)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ١٧٧)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥٠).

وروي في ذلك آثار عديدة عن السلف الصالح أنهم قالوا: (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)، وروي عن رسول الله ﷺ مثل ذلك، ولكن الصحيح أنه موقوف[١].

وصلاة الليل: لها نور في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس، وهي تقوي الجسم والأعصاب، وتجعل الجسم ذا منعة وصلابة، وتُباعد عنه الأمراض، قال ابن القيم: (ما أصيب اثنان بمصيبة أو حادثة إلا كان حظ صاحب الصلاة منهما أقل من صاحبه وأيسر)[٢].

وحكمة القيام في الليل هو أنه أهدأ للأصوات، وأقرع للقلب لتدبر آيات الله وترتيلها، وأربح للضمير؛ لأن الأشغال

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٣٣٣)، من حديث ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعًا. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها، وأورد الكثير منها القضاعي وغيره، وجاء في سنن ابن ماجة: حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى قال: حدثنا ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كثرت صلاته...**» قال ابن العربي: هو مدسوس على وجه الغلط، وقد اتفق أئمة الحديث: ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك لثابت، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٥٨١٦).

(٢) ذكر ابن القيم رحمه في روضة المحبين (١/ ٢٢١) ما يفيد هذا المعنى.

والتكسب إنما تكون غالبًا في النهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل:٧]؛ ولأن عبادة الليل بعيدة عن الرياء المحبط للأعمال، ولأنه أقرب لإجابة الدعاء، كما روى مسلم والبخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبْقَى مِنَ اللَّيلِ ثُلُثُهُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُني فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(١)، متفق عليه.

فيا أيها المسلمون: شَمِّرُوا سواعد الجد في هذه العشر ختام الشهر، واستنوا بسنة نبيكم محمد عليه أفضل صلاة وأزكى تحية فقد روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره، وأيقظ أهله، وأحيا ليله**»(٢).

وصحَّ عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «**الْتَمِسُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (١١٧٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠٢٠)، ومسلم برقم (١١٦٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

فبادروا بالعمل، يرحمكم الله ويرضى عنكم ويثيبكم جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وتداركوا ما أضعتم في أيامكم السالفة، فإنما الأعمال بالخواتيم، وجدوا واجتهدوا في عبادة ربكم فما تنال المعالي قط بالكسل، قال الشاعر:

إذا نـام غِـرٌّ في دُجَـى الليـلِ وقم للمعـالي والعـوالي فَشَـمِّر

نعم أيها الإخوة! بادروا بالسعي واغتنموا الفرصة قبل فوات وقتها، وما تقدموا لأنفسكم من خير وعمل صالح فستجدونه محفوظًا لكم مسجلًا باسمكم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧-٨].

أيها المسلمون: ازرعوا خيرًا؛ لكي تحصدوا جزاءكم كاملًا موفورًا، وتباعدوا عن الشرور والآثام؛ فإنها لا تثمر إلا شرًّا ووبالًا، قال الشاعر:

مَـا ينـالُ الخَـيْرُ بالشَّـرِّ ولا يَحْصِـدُ الـزَّارِعُ إلاَّ مَـا زَرَعْ

وابتعدوا عن الكسل فما كان لكسول أن يربح في دنيا ولا في آخرة، كما قال الشاعر:

لـيس البطالـةُ والكَسَـل بالجـالِبَيْنِ لـك العَسَـلْ

فاعمَـلْ فـإنَّ الله قـد حـثَّ المطيـعَ عـلى العَمَـلْ

فأخلصوا أعمالكم لربكم، وثبتوا عزائمكم، وكونوا عباد الله إخوانًا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، واقتدوا بسلفكم الصالح فنعم القدوة هم، لقد شغلوا أوقاتهم بالصلاة والقيام ليلًا، والتسبيح والذكر نهارًا، لقد شُغِلُوا بعبادتهم فصارت لهم نسبًا، وعرفوا بها وعرفت بهم، كما قال الشاعر:

وإذا تناسَبَتِ الرجالُ فما أرى نسبًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

أسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال، والله أعلم وأحكم، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المقال الرابع:

فضل قيام الليل وأهميته[١]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، النبي الأمي الذي أرسله ربه بالهدى والحق والدين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى، الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم نصرة لهذا الدين، ولرفع راية الإسلام خفاقة في كل مكان، فرضي الله عنهم أجمعين، ومن سار على هديهم واتبع طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن المعلوم أن صلاة الليل تُورِثُ النور في الوجه، قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]، وهذه السمة هي التي تميز المسلم يوم القيامة.

وتورث أيضًا السعة في الرزق، واليسر في أمر المعيشة، فيكون عيشه

---

(١) كلمة ألقيت في إحدى المساجد بتاريخ: ٢٨/ ٩/ ١٣٧٥هـ.

موفرًا ورزقه موفورًا، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه:١٣٢].

وتورث أيضًا المحبة في قلوب الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦].

وتورث المحبة عند الله؛ لأن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل وأمره أن ينادي في السموات وفي الأرض: أن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم يلقى له القبول في الأرض فلا يراه إنسان إلا أحبه، كما ورد بذلك الحديث(١).

وتورث عند الإنسان قوة الاحتمال والصبر على الشدائد وعدم الجزع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[المعارج:١٩].

والصلاة تفرج الهم والكروب، كما روي أنه صلوات الله وسلامه عليه كان إذا حزبه أمرٌ بادر إلى الصلاة(٢).

---

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ الله الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩).

(٢) لما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «**كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلى**». أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود برقم (١٣١٩)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٣/ ١٧٢)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٤٧٠٣)، وفي صحيح أبي داود برقم (١٣١٩).

وتورث القوة في الجسم والأعصاب وتجعله ذا مناعة وصلابة وتتباعد عنه الأمراض، قال شمس الدين العلامة ابن قيم الجوزية: (ما أصيب اثنان بمصيبة أو حادثة إلا كان حظ صاحب الصلاة منها أقل من صاحبه وأيسر).

ثم قال: (وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب)[1].

والسر في محبة أولياء الله وعباده الصالحين للقيام في الليل والعبادة فيه بالتهجد وإحيائه بالأدعية والأذكار أمور عديدة:

منها: أنه أهدأ للأصوات، وأفرغ للقلب ليتسنى له تدبر آيات الله وترتيلها والتفكير فيها وتدقيق النظر في دلالاتها ومنطوقها ومفهومها.

ومنها: أنه أريح للضمير؛ لأن الأشغال والتكسب إنما يكون غالبًا في النهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل:٧].

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٤/ ٢٤٧).

ومنها: أن عبادة الليل بعيدة عن الرياء المحبط للأعمال، وقد سماه رسول الله ﷺ: الشرك الأصغر[(١)]، ولأنه أقرب لإجابة الدعاء، كما روى مسلم والبخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبْقَى مِنَ اللَّيلِ ثُلُثُهُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[(٢)]، متفق عليه.

والدعاء أمر مشروع فينبغي أن يلجأ الإنسان إلى ربه، وأن يدعوه وحده بما أحب أن يدعو ربه، وأن يفوض أمره إليه في تضرعه ودعائه، وإن كان الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء من سريرة العبد؛ لأن الدعاء مظهر من مظاهر العبادة والخضوع له والصمود إليه في الحوائج وفي نوائب الأيام.

---

(١) لقوله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ـ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ ـ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**»، أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٣٠١)، وأورده البغوي في شرح السنة برقم (٤١٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب برقم (٣٢)، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه. قال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره، وقال الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة: إسناده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥٥٥).

(٢) سبق تخريجه.

والدعاء مخ العبادة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وكما في الحديث الصحيح: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»(١)، رواه أحمد.

فادعوا الله عباد الله وابتهلوا إليه، واعلموا أن الأعمال بالخواتيم، كما في حديث رسول الله ﷺ، وأن العامل إنما يوفى أجره بعد إتمامه عمله وإكماله، واعلموا أن حسابكم وأجركم عند الله عز وجل، وأن ما تقدموا لأنفسكم من خير وعمل صالح فستجدونه مسجلًا باسمكم محفوظًا لكم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، قال الشاعر:

إذا افتقرتَ إلى الـذخائِرِ لم تَجِـدْ ذُخرًا يكونُ كصـالحِ الأعـمالِ

أيها المسلمون: سارعوا إلى العمل الصالح والاجتهاد، واعلموا أن شهر الصوم شهر حبيب إلى نفوسنا، هذا الشهر الذي أنزل فيه قرآننا معشر المسلمين سوف يرحل عنا قريب، فودعوه بالاستغفار والعمل الصالح، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣].

أيها الإخوان: إن شهر العطف والرحمة، شهر المحبة والإحسان،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٨٤)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

شهر المواساة والعطف، شهر الصدقات والبر والمعروف؛ قد سافر فودعوه، وتماكنوا ما وسعكم ذلك؛ إن الأعمال بالخواتيم، واستغفروا ربكم وأنيبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم، وحاسبوا أنفسكم وتزودوا من أعمال الخير، فإن خير الزاد التقوى، واطرحوا الكسل والبطالة فليس فيها إلا الشر في الدنيا والآخرة، قال الشاعر:

لـــيس البطالـــةُ والكَسَـــل بالجـــالِبَيْنِ لـــك العَسَـــلْ

فاعمَـــلْ فـــإنَّ الله قـــد حـــثَّ المطيـــعَ عـــلى العَمَـــلْ

أيها الإخوان: إن التكبير في ليلة العيد سنة مؤكدة من أول الليلة إلى ما بعد الصلاة، وقد جرت عادة بعض الناس أن لا يكبروا في ليلة العيد من رمضان، وأن يكبروا في ليلة عيد الأضحى، والصحيح أنه لا فرق في ليلها، وأن التكبير مشروع في الليل إلى ما بعد صلاة العيد، والتكبير المأمور به هو المأثور: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، و لله الحمد.

فأمرنا الله أن نكبر في ليلة العيد إلى ما بعد الصلاة حمدًا له وشكرًا على أن هدانا إليه من أداء شعائره وتمام فرائضه وعلى تيسيرها وتسهيلها لنا، قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

أيها المسلمون: إن الله قد فرض علينا الفطرة والتي تسمى زكاة الفطر، وذلك لأن الصائم مهما كان حافظًا لنفسه فلا بد أن يحصل منه شيء من الكلام الغير مرضي أو الرفث، أو غير ذلك؛ فهي تطهر الصائم، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات[(١)]، وقوله ﷺ: «**وطعمة للمساكين**»، أي: خاصة بالمساكين.

وقد روي: أن عمل الصائم معلق بين السماء والأرض حتى يعطي صدقته، فإذا أعطاها أثيب على عمله[(٢)]، وعن ابن عمر

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٦٠٩)، وابن ماجه برقم (١٨٢٧)، والحاكم (١/ ٥٦٨) رقم (١٤٨٨). قال الحاكم: صحيح على شرط البخارى، ووافقه الذهبى، وحسنه النووى فى المجموع (٦/ ١٢٦)، والألباني في إرواء الغليل برقم (٨٤٣)، وفي صحيح أبي داود (١٤٢٧).

(٢) يشير إلى ما روي عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر**»، أخرجه الديلمى (١/ ٢٣٥) رقم (٩٠١)، وأورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٤٩٩) رقم (٨٢٤)، وقال: لا يصح، فيه محمد بن عبيد مجهول، وقال المنذرى (٢/ ٩٧): رواه أبو حفص بن شاهين فى فضائل رمضان، وقال: حديث غريب جيد الإسناد، وقال المناوى (٢/ ٤٥٥): فيه ضعف، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٤٣).

رضي الله عنهما قال: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على: العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير؛ من المسلمين**»(١)، وفي حديث آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ **أمر بزكاة الفطر تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة**»(٢)، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**اغنوهم في هذا اليوم عن الطواف**»(٣).

ويجوز إخراجها قبل العيد بيومين أو يوم، والأفضل في ليلة العيد، وفجرها أفضل، فأغنوا فقراءكم في يوم العيد، وساعدوهم فهم إخوانكم، غير أن الله كتب عليهم العدم وقد يغنيهم فيما بعد، ولكن الله أمرنا أن نمد يد المساعدة إليهم، وأن نواسيهم وأن نعطيهم الفطرة وحدهم، فهم الذين يستحقونها لكي يفرحوا معنا في هذا اليوم، ويكون عيدًا علينا وعليهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٠٤)، ومسلم برقم (٩٨٤)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥٠٨)، ومسلم برقم (٩٨٦)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، والدار قطني (٢/ ١٥٣)، والبيهقي (٤/ ١٧٥)، بألفاظ متقاربة عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد ضعفه الحافظ في بلوغ المرام (ص٦٤٧)، وضعفه الألباني في الإرواء برقم (٨٤٤).

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وأن يتجاوز عنا، وأن يختم لنا الشهر بخير، ويجعلنا من عتقائة، إنه سميع مجيب، وأسأله أن يبارك لكم في هذا العيد وأن يجعله عيدًا سعيدًا علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين، والله أعلم، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊❊❊❊❊

المقال الخامس:

وزارة العدل[١]

إن الكلام عن الوزارات واختصاصاتها يطول؛ لكن وزارة العدل من حيث الأهمية في طليعة الوزارات ومن ألزمهن، ذلك أن المفاهيم تغيرت، ففي الماضي كانت الدول والحكومات الإسلامية يمثلها طبقتان:

الطبقة الأولى: الحكام السياسيون: وهم الخلفاء والملوك والأمراء والولاة.

الطبقة الثانية: الحكام الشرعيين: وهم الذين يمثلون العدالة الإسلامية، وينظرون في معاملات الناس وخلافاتهم ومظالمهم وقضايا قصَّارهم وتركاتهم.

أما اليوم: فقد توزعت المسؤوليات وأصبح الذي يمثل الدولة هي الوزارات على تباين اختصاصاتها.

وبما أن أمور العدل لا تزال تترقب وزارتها التي تلم شملها وتكون مرجعًا لها، وتمثلها في مجلس الوزراء وفي المنظمات والهيئات؛ فإننا نهيب بحكومتنا الرشيدة أن تنظر إلى هذا المرفق، وأن توليه من العناية ما هو جدير به؛ لاسيما وقد أنشئت في خلال

---

(١) مقال نشر في إحدى الصحف المحلية عام ١٣٨٢هـ.

السنتين الماضيتين ثلاث وزارات ليست هذه الوزارة أقل منهن مكانة؛ بل إن حاجة الشعب إليها أكثر ترقبًا وشوقًا، ذلك أنه وإن كانت أمور المسلمين ومشاكلهم مرجعها الشريعة والمحاكم قائمة في كل بلد، وكتاب العدل وبيوت المال منتظمة في كبريات المدن ودواوين المظالم وهيئات الأمر بالمعروف؛ إلا أن وجود وزارة تلم شملها وتقويها وتعززها بالرجال العاملين وبالأوامر والأنظمة التي تسير على ضوء الشريعة، تستمد روحها من كتاب الله.

أقول: إن وزارة قوية نشيطة تدفع هذه الدوائر الشرعية إلى الأمام وتقوى من مركزها وتعززها بالرجال الأمناء المخلصين، وتمثلها لدى المراجع العليا والمنظمات المحلية والدولية أمر لا مناص منه.

وما من شك في أن حكومة تعتز بالإسلام دينًا وتحكمه في كل شأن من شئونها يسعدها أن تسير أمور المسلمين على ضوء تعاليمه التي لا يأتيها الباطل ولا يتطرقها الشك سوف تعتز بضم مثل هذه الوزارة إليها وإننا لمرتقبون، والله من وراء القصد.

*****

المقال السادس:

أما آن الأوان بعد؟! حدود مصير الفقراء![1]

لست أدري إلى من أوجه حديثي!:

أهو إلى السلطة الحاكمة؟؛ حيث أنها هي القادرة على وضع العدل والحق في نصابه؟!

أم إلى مدراء البنوك والتجار الأثرياء، الذين بيدهم أموال الله يتصرفون فيها حسب ما تمليه عليهم رغباتهم وشهواتهم بدون رقيب أو حسيب، فقد وكل أمر محاسبتهم ومراقبتهم إلى أنفسهم، وهم أناس أثبتت التجارب وسالف الأيام ـ أيامنا نحن ـ أنهم لا ضمير يردعهم، ولا إيمان يمنعهم ويؤنبهم من الاستيلاء والاستئثار بحق الضعفاء والفقراء في الأموال التي استأمنهم الله عليها وجعلهم حماة لها؟.

ولكن لماذا لا يكون الحديث موجها إلى الجميع؟!

إن دخل الجمارك من أموال التجارة المذكور في الميزانية، أثبت لدينا ما يضاهي دخل البترول، وهذا الذي يؤخذ على الأموال من رسوم جمركية فقط، فبالله عليكم كم تقدر الأموال نفسها التي هذه هي رسومها؟

---

(١) مقال نشر في مجلة الجزيرة العدد (١١)، السنة الثالثة، رمضان: ١٣٨٢هـ.

هذا مع أن عند التجار أموالًا يشغلونها بالداخل لا تؤخذ عليها رسوم، وهي أضعاف أضعافها، أضف إلى ذلك العملات الصعبة المكدسة عندهم.

أتدري كيف يؤدى هؤلاء زكاة أموالهم الركن الثالث من أركان الإسلام الذي يتسمون به ويحتمون بحماه ويلوذون بظله؟

إنهم جعلوها ـ أو على الأصح ما سمحت به نفوسهم منها ـ مبرات وهبات وعوائد يؤلفون بها قلوب بعض الناس، وأكثر هؤلاء ممن لا تحل لهم الزكاة، ولا يجوز لهم أخذها، فهل هذا أيها السادة تبرأ به الذمة، ويطهر أموالهم ويزكيها؟!.

إن الزكاة تطهر المال وتوسع على الفقراء الجياع، الذين أذلهم الفقر، وأعوزهم المأكل والمسكن والملبس والمشرب، الذين لا يستطيعون ضربًا في الأرض، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافًا.

فهل أدى هؤلاء واجبهم نحو إخوانهم المساكين؟!

وما أمر البنوك من هؤلاء التجار والأثرياء ببعيد!!

إنها الأموال الطائلة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي اكتظت بها البنوك والمحلات التجارية.

إنني أعتقد وكل المخلصين المتبعين لتقدم البلاد وتطور ثروتها التجارية يعتقدون معي: أنه لو وُزع ربع عشر كل هذه الملايين على

المستحقين والجياع، الذين أذلهم الفقر، وأعوزهم له شرعًا، لعاش الفقراء في كفاف، فأزاح عنهم إخوانهم في الله وفي الدين والإنسانية ما علق بهم من ذل الفاقة، ومن العقد النفسية والحقد على إخوانهم الموسرين، ثم شجعتهم هذه الإخوة وهذه الرابطة الإسلامية والتعاون على السعي بجد ومتابعة السير حتى يصبحوا أغنياء، وربما زاد عن هذا الحد ففتح بالفائض منه مستشفيات ومدارس وملاجئ.

أيها الأثرياء: إنكم تكرهون الشيوعية والاشتراكية كرهًا جمًّا، وإن الحكومة تحاربها ليلًا ونهارًا، فهل تعلمون يا من تكرهونها ويا من تحاربونها أن أخطر الأبواب التي تلج منها، وأعظم النوافذ التي تتسرب منها: أنه الجوع والفقر وحرمان الحقوق الشرعية، وعدم تقسيمها حسب تعاليم الدين الحنيف.

إن الجوع الذي تعوذ منه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والفقر الذي كاد أن يكون كفرًا قبل أن يجد متنفسًا في المبادئ الحديثة؛ أنهما يدعوان صراحة وبأعلى صوت إلى الاشتراكية، ولو على حد قول الشاعر:

إذا لَمْ يَكُنْ للمَرْءِ في دولةٍ امرئٍ نَصيبٌ ولا حـظٌّ تَمَنَّـى زَوالَهَـا

وما ذاكَ من بُغْضٍ لها غـيرَ أنَّـه يُرجـي سِـواها فهـو يَهـوى

نعم، فالناس قد أُشربت قلوبهم حب الإسلام والاستماتة في

التمسك بمبادئه، ولكن إذا أصبح لا يُعمل به ولا يُسار على هديه، وأصبح الذين يمثلونه مع الذين بيدهم ثروات البلاد، كل لا يهمه إلا مصلحته الشخصية، وإنماء ثروته، فماذا على الجماهير الغفيرة الفقيرة إذا فقدت الثقة فيهم، وأصبحت تتشوف وتتحسس للمبادئ البراقة، التي يخيل إليهم أنها استبدلتهم أهلًا خيرًا من أهلهم، وحالًا خيرًا من حالهم؟!.

لقد كنّا في الماضي نكل هؤلاء الذين بيدهم هذه الثروات الطائلة إلى ما عندهم من وازع ديني، وما يحملونه من ضمائر، ويظهر أنه قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فاختلطت عليهم الحقوق الكثيرة في أموالهم، فموهوا على الحكومة تسجيل نسب رمزية لأموالهم أصبحوا يدفعون زكاتها، في حين أن الأموال التي أصبحوا يدفعون زكاتها لمصلحة الزكاة والدخل لا تعادل ربع زكاة أموالهم الحقيقية.

وإنني أقترح أن تفرد الزكاة الشرعية، ويتولى جمعها لجنة خاصّة من ذوى الضمائر الحية والمبادئ السامية تساندهم سلطة من الحكومة، وأن تُزكى الحكومة نفسها على ما يدور عليه الحول من أموالها وأموال أسرها، وأن يعامل الأثرياء والتجار على حسب الوارد والصادر منهم من أموال، وما لديهم من سجلات،

ثم تتولى اللجنة تفريقه على أصحابه الشرعيين، وعلى الصناديق البرية والجمعيات الخيرية، وتنشئ بالباقي مستشفيات ومدارس وملاجئ.

وإن أمر هؤلاء الفقراء الذين تضيق بهم فوهات المساجد في كل رمضان لمخجل حقًّا، وملح في إيجاد حل؛ لأنهم كل سنة يتضاعف عددهم، والحل الذي نطلبه هو القضاء على ذلك كله.

أما أصحاب العاهات والمشوهين الذين يعرضون عاهاتهم في المساجد وفي الاجتماعات، وكذلك الذين اتخذوا التسول مهنة طوال أيام السنة، فإنني اعتقد أن وزارة الشئون الاجتماعية لا بد أن تكون قد فكرت في إيجاد حل لهم تؤمن فيه كل متطلباتهم، وتشغلهم حسب طاقاتهم وما يجيدون، وهي إن فعلت ذلك، وإلا فإننا نطالبها بحل ايجابي لوضعهم.

وسوف نسد بذلك الطريق على المشعوذين الذين يصطادون في الماء العكر، الذين شوهوا نظام المال في الإسلام، ونوصد الطريق أمام التيار الاشتراكي الجارف، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

*****

المقال السابع:

أين العلماء والأدباء؟[(١)]

في كل زمان وفي كل مكان، يقوم دعاة خير ممن صفت نفوسهم وعلت هممهم وزكت أخلاقهم، يضيئون الطريق لأمتهم وينيرون سبل الإصلاح لها، والبلاد تفخر بهؤلاء وتعتز بهم؛ لأنهم الشعلة الوهاجة التي تبني على ضوئها صرح عزها ومجدها، وتشيد عليهم مفاخرها، فإنما يُعلي البلاد بَنُوهَا، وبهم تصعد إلى العلا وتهبط إلى الحضيض، فإذا خمد هذا الصوت ـ صوت الضمير صوت الإصلاح ـ انطفأت الشعلة وذاب النور، وتبلدت العقول وأسنت الأفكار، واضمحل الوقود الذي يدفع ركب الأمة.

فأعيذكم بالله يا علماءنا ويا أدباءنا من ذلك، وأدعوكم إلى أن تواكبوا عصركم عصر السرعة، فتُوَجِّهُوا الأمة وتقودوها إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فإن إحجامكم وانشغالكم بالتوافه من أموركم عن مسايرة عصركم وعن توجيه أمتكم والدفاع عنها وإيضاح السبيل لها، ليس من المثل العليا في شيء.

فلا تظنوا أيها العلماء الأفاضل وأيها الأدباء الكرام أنكم قد

(١) مقال نشر في مجلة الجزيرة، العدد (٩)، السنة الثالثة، رجب ١٣٨٢هـ، الموافق ديسمبر ١٩٦٢م. وهذا المقال من روائع ما كتب الشيخ الوالد حفظه الله.

أديتم رسالتكم، وأنتم في أبراجكم تناجون كتبكم، وقد جفت أقلامكم، وكلت هممكم وبردت عزائمكم، فاشحذوا أفكاركم وأشهروا ألسنتكم وأقلامكم، وأنيروا الطريق لأمتكم، فنحن في عصر أنتم به عالمون، ولحوادثه مدركون، وسرعته لا ترحم المتباطئين، ولا تنتظر النائمين.

فعوجوا على أنفسكم واسألوا ضمائركم:

هل أديتم واجبكم نحو مواطنيكم؟

هل شاركتم في بناء بلادكم على النحو المأمول منكم والواجب عليكم؟

إنكم لم تفعلوا ذلك، وما أبرئ نفسي، وإن عصرًا تمر حوادثه ووقائعه سراعًا يستدعى منكم أقدامًا ثابتة على المبادئ، وفكرًا مستنيرًا يقظًا ينير الدروب ويوضح الطريق، ويضع الدواء على الداء، ويساير الزمن في سرعته ومضائه.

فما هذا الوجوم والركود؟

هل استفحلت مشاكلنا إلى درجة جلبت لكم اليأس والقنوط، فأصبحتم لا تنبسون ببنت شفة، إ لا لما أو همسًا في مجالسكم الخاصّة؟!.

إن ميادينكم خلو منكم، وكأني بها وقد تسننها غيركم من الذين يدعون الوطنية؛ هراء ونفاقًا، أصحاب الأغراض السافلة

والمقاصد الدنيئة، المتهافتين على الشهرة، الذين يقدمون ضمائرهم على أكفهم ثمنًا رخيصًا لأي منصب من أولئك الذي قال فيهم معروف الرصافي:

كــــم يدَّعـــــــي وطنيــةً ... مــــن لـــم تكــن مَــرَّتْ ببابــه
فتـــــراه يرمِــي المخلصــين ... بكــــلِّ ســـهم مــن جِعَابِــهْ
ويعيــــب قومــــًا بالخيانــةِ ... والخيانـــــةُ بعـــضُ عابــــه
فتـــــراه ينفـــــخُ لاغيًــا ... فيهـــا وينفـــــخُ في جرابــــه

فيحتلون الصدارة ويصبح بيدهم توجيه الأمة، ثم لا تشعرون إلا وقد استفحل الداء وعز الدواء، وتولى الأمر غير أهله، وقاد الأمة غير الأكفاء المخلصين من أبنائها، فتختل المعايير وتتغير المفاهيم وتنعكس الأوضاع ويضيع الرعيل ومن يقوده، وتصبح الأمة في ضلالة عمياء وجهالة جهلاء، ثم تطيب منادمة المنايا، كما قال القاضي عبدالوهاب المالكي:

متــى يصــل العطــاش إلى إرتــواء ... إذا اســتقت البحــار مــن الركايــا
ومن يثني الأصاغر عــن مــراد ... إذا جلس الأكــابر في الــزوا يــا
وإن ترفــع الوضـــعاء يومًـــا ... على الرفعاء من أقسى الرزايــا
إذا استوت الأسافل و الأعــالي ... فقــد طابــت منادمــة المنايــا

فانتبهوا من سباتكم، واعتلوا مراكز القيادة، قيادة الأمة وهدايتها التي هي أمانة في رقابكم، وأنتم مسئولون عنها أمام مواطنيكم وخالقكم، فأنتم أرباب القلم والبيان، وأنتم أصحاب العلم والعرفان، وعليكم الآمال تعقد، ومنكم التوجيه يطلب، وإن تواكُلَكُم وتكاسلكم هما الداء الدوى، الذي ينخر عظام الأمة ويؤدي بها إلى الدمار والفناء، والله ولي التوفيق وكافئ العاملين.

*****

المقال الثامن:

أثرياؤنا والحرب[١]

إن الأحداث العالمية في مدٍّ وجزر، والناس في هلع وخوف من الحروب منذ القدم، وما من أمة إلا ولها في تاريخها القديم أو الحديث من مآسي الحروب ما يقشر له الجلد وتدمع له العين، وقبل النبوة المحمدية قال في الحروب حكيم العرب زهير بن أبي سلمى:

وَمَا الحَـرْبُ إِلاَّ مَـا عَلِمْـتُمْ وَذُقْـتُمُ ... وَتَضْـــر إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَـا فَتَضْـــرَمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَـا تَبْعَثُوهَـا ذَمِيْمَـةً ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ الْمُـرَجَّمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَـى بِثِفَالِهَـا ... وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُـمَّ تُنْـتَجْ فَتُتْـئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْـأَمَ كُلُّهُـمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَـتَفْطِمِ

فكان شؤمها وهولها قديم منذ كان الإنسان يقاتل بنبلة وسنانه، فكيف بها والحال الآن بعد أن تقدمت الإنسانية في ميدان الصناعات كلها، وفاقت في ميدان التسلح؛ بل أتت فيه بما يحير الألباب ويبهر العقول؟! فإن قامت حرب عالمية واستعملت فيها أسلحة الدمار فإنها ستكون حربًا طاحنة لا تبقي ولا تذر.

---

(١) مقال نشر في جريدة القصيم، ملحق العدد (١٤٧)، الخميس: ٤/ ٦/ ١٣٨٢هـ، الموافق: ٨/ ١١/ ١٩٦٢م.

غير أن أثرياءنا لم يقدروا ذلك، وقد برهنت قضية كوبا على بعض التجار لدينا فاقدي الضمائر، يريدون أن يبعثوها حربًا اقتصادية على مواطنيهم وإخوانهم عند أدنى سبب وأي مفاجأة يرونها مبررًا للتحكم في أقوات الشعب.

وما من شك في أن وضع الرقابة عليهم ومراعاتهم ومتابعتهم، ووضع حد لهم ينتهون عنده ونُظُمًا صارمه لكل من يصطاد في الماء العكر ويتحين الفرص منهم؛ أمرٌ يُقِرَّهُ الشرع والعرف.

وقد سمعنا أن الحكومة قد اهتمت بهذا الأمر، وهو بحق جدير بالاهتمام والعناية من قبل المسئولين؛ لأن تركهم وشأنهم يحتاج إلى رقي في مداركهم، ونضج ضمائرهم، وفهمهم أن التحكم في أقوات الشعب ظلم وعقوق لمواطنيهم وأهليهم وعصيان لخالقهم، وهم لم يصلوا إلى هذه المرحلة من الإدراك، والخبير منهم يستهويه الجشع وحب المال، ويسير في ركابهم، وقديمًا قال أبو الطيب المتنبي:

والظُّلم من شيم النُّفوس فإن ذا عفَّةٍ فلعلَّةٍ لا يظلم

وما دام أن أثرياءنا ينتهزون الفرص لزيادة ثرواتهم ولو على حساب جيوب الفقراء المساكين، غير مدركين لما كان عليه المسلمون في

عصورهم الأولى في أوقات الحرب والفتن والمجاعات؛ من إنفاق أموالهم على المحتاجين والفقراء بدون مقابل إلا ابتغاء رضوان الله، ومن منهم يأخذ فإنما يتقاضى رأس ماله، فما عهد منهم الثراء من الحروب والمصائب التي تجتاح البشرية، وما كانت نفوسهم الشريفة وهممهم العالية التي فهمت روح الإسلام وأشربت بحب المسلمين لتضار المسلمين في أقواتهم وترفع أسعارها أو تحتكرها.

وما دامت حكومتنا ـ أيدها الله بالحق وأمدها بالرجال المخلصين ـ قد خفضت الرسوم، وأمنت المواصلات؛ فإن لها الحق كل الحق بالضرب على أيدي الشرهين الانتهازيين منهم، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

*****